المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 07-09-2006
الصفحـات : 14
العـــدد : 14621
المسلسل : 87

العثيمين صاحب أجرأ دراسة حول الظاهرة في المملكة:

معالجة «التعاطف» مفتاح القضاء على الإرهاب

في وقت تخطط فيه وزارة الشؤون الاسلامية لتعيين داعيات في مختلف مدن المملكة حذر الدكتور يوسف العثيمين الأمين العام لمؤسسة الملك عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه للاسكان الخيري، مما وصفه بـ«تحرك تنظيم القاعدة وسعيه لتجنيد النساء واستغلالهن في توجيهاته الخطرة» لافتا الى ان خلايا النساء ستكون الأخطر نظرا لصعوبة ضبطها. ودعا العثيمين الذي وصفت دراسته التي تناولت منابع الارهاب بأنها الأجرأ، دعا الى محاربة ما اسماه «المنهج الخفي» الذي انتشر في بعض مدارسنا، معتبرا في حديث شامل لـ «الدين والحياة» ان تأسيس منهج الوسطية وتحويلها الى اجندة عمل وطنية واحدة من اهم العوامل لمعالجة الارهاب. الى تفاصيل الحوار:

د. يوسف العثيمين

* نزعات الانغلاق الفكري والاجتماعي في بعض اوساطنا تقود الى تفريخ العناصر

* مازلنا في مرحلة الخطاب العاطفي والحاجة ماسة لتأسيس الوسطية وتحويلها لأجندة عمل

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 07-09-2006 العـــدد : 14621
الصفحـات : 14 المسلسل : 87

حاوره: فالح الذيباني

بداية.. انجزتم مؤخرا دراسة قيمة بعنوان «نحو استراتيجية وطنية شاملة لمكافحة الارهاب» ماهو الدافع الرئيسي لقيامكم بهذه الدراسة؟

– الدافع الرئيس للقيام بهذه الدراسة هو ما تعرض له وطننا الغالي من عمليات ارهابية، طالت المواطن، ونالت المقيم والمُعاهد، فضلا عن المكتسبات والممتلكات الامر الذي أجده لزاما على كل غيور على هذا الوطن المعطاء ان يساهم بجهده على خير ما يستطيع لمكافحة هذا الفيروس الذي اصاب هذا المجتمع وغيرها من مجتمعات العالم.. والامر الثاني هو انه بعد مرور عدة سنوات على هجمات الحادي عشر من سبتمبر لم نتوفر بعد على استراتيجية وطنية شاملة لمكافحة الارهاب في المملكة العربية السعودية.. صحيح ان الأمن السعودي نجح نجاحا باهرا ومتميزا في التصدي للارهاب والارهابيين، بل انه تجاوز هذه المرحلة من ردود الافعال الى المبادرة والاستباق.. وهذه حقيقة لا ينكرها الا جاحد أو حاقد.. ولكن الحل الأمني لا يكفي للتصدي لظاهرة معقدة كالارهاب الذي تتطلب معالجته جهودا اكاديمية متخصصة ومتنوعة تتناول المسببات والجذور والمناخات والعوامل التي تغذي هذا الوباء، الذي لم تسلم منه جميع المجتمعات حول العالم.. كما انه ليس من الانصاف تحميل الجهاز الأمني في المملكة عبء المكافحة وحده، فالأمن هو التدبير الاخير، وخط الدفاع الاخير عندما تفشل جميع الجهود ولا يبقى سوى «البندقية».

لذا، فان المطلوب –الآن– هو ان تتبري جميع الجهات المعنية بأمر معالجة هذه الظاهرة، كلٌ فيما يخصه، الى الخلوص الى استراتيجية وطنية شاملة ذات حلول على المستوى القصير والمتوسط والبعيد المدى، مع خطة تنفيذية واضحة للتصدي لهذه الظاهرة، تعضيدا للجهود الأمنية التي تقودها وزارة الداخلية السعودية بنجاح.

وهل ترون ايجاد مثل هذه الدراسة هو وسيلة هامة لمعالجة حالات فردية تُسمى «ارهاب»؟

– ما قدمته ليس استراتيجية تفصيلية، ولا خطة تنفيذية، يجب الاعتراف بهذا للامانة العلمية.. ما قدمته عبارة عن إطار عام يصلح لأن يكون «بداية» لعمل فريق متخصص من المتخصصين في العلوم الشرعية والاجتماعية والنفسية والسياسية والاقتصادية والاعلامية والتربوية.. هذا الفريق اذا تشكل وتفرغ لهذه المهمة يستطيع ان يضع خطة تفصيلية تنفيذية مبنية على وقائع ومعلومات واحصائيات وتجارب ميدانية لمعالجة الارهاب، واجتثاث جذوره من المجتمع سواء على مستوى المجتمع أو المجموعات أو الافراد.

وهناك لجنة تُسمى (لجنة المناصحة) تابعة لوزارة الداخلية ويقوم عليها صفوة من ابناء المجتمع ومن خيرة المتخصصين والمتحمسين، وقد نجحت هذه اللجنة في اقناع الكثير من الارهابيين في العدول عن هذا الطريق المعوج، وهناك «حملة السكينة» التابعة لوزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف والدعوة والارشاد.. ولكن نريد ان نتقدم خطوة اخرى الى الامام وهي ان نتعرف على المناخات والجذور والعوامل التي تحول هذا الشاب السعودي الهادىء المؤدب والمقبل على الحياة الى ارهابي مهمته صناعة الموت، واحراجنا امام العالم.. هذا هو جوهر المشكلة، ومنطلق العلاج.

استغلال المناهج

هل ترون ان للمناهج التعليمية قديما أو حديثا في مدارس التعليم العام والعالي دورا مباشرا أو غير مباشر في تأصيل الفكر الارهابي في عقول الطلبة؟

– المناهج التعليمية من حيث المضمون لا تقود الى الارهاب بشكل مباشر، فهذه المناهج تُدرّس منذ عشرات السنين، ولم تنتج ارهابيين بالمعنى العملياتي للمفهوم وانا وأنت من خريجي هذا النظام التعليمي.. ولكن هناك مواد وعناصر في مناهجنا التعليمية، وفي الزمن والمكان الملائمين، يمكن ان تُستغل وتوظف لتجنيد الشباب وغسل ادمغتهم، عبر تفسيرات وتأويلات (ضيقة)، مثل مفهوم الولاء والبراء، والموقف من الآخر، والمشركون في جزيرة العرب، والجهاد، وغيرها.

ثم هناك ما يُسمى بـ«المنهج الخفي» والذي انتشر في بعض المدارس والجامعات والمعاهد، وفي المراكز الصيفية، والرحلات المدرسية، والجماعات الوعظية، والمخيمات الدعوية وغيرها.. المشكلة لدينا اختلاط الحابل بالنابل، وخلط الاوراق ومحاولات الاختراق واستغلال وسائل «مشروعة» كالوعظ، والخطابة والاشرطة والكتيبات والرحلات الخلوية، والمناشط اللاصفية، وجماعات تحفيظ القرآن والجمعيات الخيرية والاستراحات وغيرها لتنفيذ هذا المنهج الخفي.. هذه المناشط طيبة وذات فائدة عظيمة للشباب ونموهم، اذا ضُبطت وأحسن الاشراف عليها ومراقبتها.. ولكن يبدو ان (الفراش كثير على خراش) فلا يدري خراش ماذا يراقب؟ وماذا يصيد؟!.

وهل بيئة المملكة كانت عاملا من ضمن عوامل تفريخ الارهاب؟

– الامور ليست على اطلاقها.. لدينا حالة، وان كانت محدودة، من نزعات الانغلاق الفكري والاجتماعي في بعض الاوساط، وهي التي تساهم في نشأة هذا الجو الذي قد يقود –احيانا– الى تفريخ عناصر ارهابية اذا وُجد من يزكيها.. ولكن الامانة تقتضي القول ان المملكة دولة ومجتمعا اصبحا يدركان خطورة هذه الحالة، والأمل معقود ان يسفر هذا الوعي بالمشكلة الى برامج وخطط لتصحيح الاوضاع، والقناعة بأننا لا يمكن ان

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 07-09-2006 العـــدد : 14621
الصفحـات : 14 المسلسل : 87

ننعزل فكريا واجتماعيا عن العالم، فنحن جزء من هذا العالم بخيره وشره، ولابد ان نتعامل ونتفاعل معه.. لكي نكون مؤثرين فيه.. يجب ان تكون لدينا الثقة بأنفسنا وديننا وقيمنا وتاريخنا، ونتعامل مع العالم على هذا الاساس لكي نكسب احترامه ولن نكسب احترامه الا اذا تعاملنا معه بنفس ادواته.

الارهاب.. مصطلح عالمي لم يعرف بعد، هل تضمنت دراستكم تعريفا دقيقا للارهاب؟ وماهو الارهاب الحقيقي وفق المنظور الشرعي الدقيق؟

– انا لست طالب علم شرعي، ولذا لا استطيع ان اقدم تعريفا جامعا مانعا للارهاب من هذا المنظور.. ولكن فطرة المسلم الصحيحة تقود الى الاعتقاد بان استهداف الابرياء والممتلكات دون وجه حق أمر يقع في صميم أي تعريف للارهاب.. هذا النفور من هذه الاعمال امر تأباه جميع الاديان والاعراف والاخلاق بما فيها الاسلام والخلق العربي الاصيل.. وبعد ذلك ان تختار من التعريفات ما تشاء.

قالبقية تفاصيل.

أجندة الوسطية

التيارات الفكرية عموما، والدعوة على وجه الخصوص، كيف تقرأون دورها في زيادة او خفض معدلات التطرف، أو ما يُعرف بالارهاب؟

– التيارات الفكرية المنحرفة والمتطرفة والمغالية هي الاساس، وهي المحرك الرئيسي لنزعات الارهاب، حول العالم.. الارهاب في جوهره توجه فكري يتلبس الشاب، ويحوله الى آلة دمار شامل لنفسه ومجتمعه.. ولهذا فالارهاب سبب ومعالجته يبدأ من الفكر.. ومن هنا فان فكر «الوسطية» الذي نادى به خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده، وسمو وزير الداخلية وعقلاء المجتمع والمفكرون لدينا هو المنطلق الاساسي في معالجة الارهاب.. ولكننا ما زلنا عند مستوى الخطاب العاطفي، ولم «نؤسس» بعد هذه الوسطية، ونحولها الى «اجندة» عمل وطنية بحيث تصاحب اقوالنا افعالنا في هذا المجال.. وهذا هو المطلوب في هذه المرحلة.

وماهو الأمل من المدرسة والمسجد وحلقات التحفيظ؟

– الامل –بل كل الأمل– في المدرسة والمسجد وحلقات تحفيظ القرآن.. هذه مؤسسات راسخة ومهمة في المجتمع السعودي، ونعوّل عليها كثيرا بان تكون خط الدفاع على الارهاب، ومقاومة نزعات التطرف والغلو والانغلاق.. وان يحتسب القائمون عليها العناية بالناشئة، ويخافون الله فيهم، وتحصينهم التحصين الشرعي الذي يتلاءم مع معطيات وضرورات العصر، وكون الاسلام، دينا وعقيدة وممارسة، صالح لكل زمان ومكان، وان تتنبهوا من محاولات الاختراق والاستغلال التي أساءت لهذه المؤسسات المجتمعية الراسخة، وجعلتها في قفص الاتهام صدقا، أو زورا وبهتانا وعدوانا.

بعيدا عن المعالجات الأمنية، كيف يمكننا تفكيك خلايا التطرف والارهاب والقضاء على منابعها؟

– تفكيك خلايا التطرف والارهاب، وتجفيف المنابع، يتطلب استراتيجية وطنية شاملة.. أي عمل يتجاوز الحلول الامنية.. ومن هنا –وكما اسلفت– فان المطلوب لمعالجة الارهاب «استراتيجية» وليس «بندقية».. واعتقد اننا قطعنا شوطا لا بأس به في هذا الاتجاه، بدءا من الاعتراف بأن لدينا مشكلة، وان ابناءنا –للاسف– هم وقودها، ثم ارتفاع نسبة الوعي المجتمعي بخطورة الظاهرة، مرورا بتبني الدولة –اعزها الله– بعض الاجراءات العاجلة في التعليم والجمعيات ومراقبة الاموال وجمع التبرعات.. اعتقد ان موضوع (التعاطف والمتعاطفين) هو مفتاح معالجة الارهاب.. وهو ما يجب ان «نشتغل» عليه بقوة وحزم وتصميم.. فالارهابيون –انفسهم– مقدور عليهم، عاجلا أم آجلا.. بفضل بسالة رجال الأمن الذين «لقطوا» هؤلاء الارهابيين كالعصافير: قائمة «٢٦» وقائمة «٣٦» اما المتعاطفون بالفكر والمال أو التسهيلات، أو حتى عدم الاكتراث بما يحصل في وطنهم فان هذه قصة اخرى، ويتطلب جهدا فكريا واجتماعيا واكاديميا متقدما، وكذلك مرجعية حكومية موحدة في الدولة لهذا الملف، وربما تدعو الحاجة الى انشاء مركز وطني لمعالجة الارهاب تقوم عليه شخصية مؤثرة متخصصة.

الارهاب الناعم

حذرتم من خطورة ظهور تيار جهادي فكري بين الداعيات من المواطنات والمدرسات والمتطوعات ومن تلميذات المدارس، لماذا هذا التحذير وما مبرراته؟ وهل الرجال الذين يمارسون هذا الدور في مأمن من هذا الامر؟

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 07-09-2006 العـــدد : 14621
الصفحـات : 14 المسلسل : 87

– كما يعلم الجميع ظهرت علينا انواعا جديدة من الارهاب لم تكن معروفة من قبل، ظهر الارهاب الالكتروني وظهر الارهاب السائل وظهر ارهاب الاحذية وظهر الارهاب الناعم، وكل العمليات الارهابية كانت محصورة بين الشباب.. الآن بدأنا نسمع عن جهود القاعدة في تجنيد النساء وهي نشطة في هذا المجال.. سمعنا عنها مؤخرا في مصر والاردن والمغرب.. وهذا توجه خطر يجب ان نتنبه اليه دولة ومجتمعا –خاصة في المجتمع السعودي بحكم الحجاب والنقاب، وعدم الزام النساء بحمل الهوية الوطنية، او حتى استخراجها. وكذلك حساسية وضع المرأة والتعامل معها بالتوقيف والتحقيق.

لذا فالمرجو الا نفسد وسطية نسائنا، وندعهن يمارسن دينهن وعبادتهن وشعائرهن على الاسلوب الذي كن عليه قبل ظهور ظاهرة الداعيات، واللاتي قيل انهن يقمن بزيارات للمنازل على طريقة «فرقنا» أو يتواصلن عبر شبكة الانترنت، ويجتمعن بالمنازل، ويشاركن تحت غطاء الافراح والاعراس والمناسبات الاجتماعية.. دعوا نساءنا يتفرغن لأسرهن وازواجهن واطفالهن. او المساهمة في رفعة الوطن.. بدلا من تشجيع نشاطات دعوية يسهل استغلالها واختراقها من الجماعات الارهابية، خاصة في مثل هذه الظروف الحرجة.. وانا –هنا– لا أتكلم عن المحاضرات الواضحة التي تعقد في الاماكن العامة تحت عين ورقابة الدولة، فهذه مقدور على مراقبتها وضبطها.. الخشية ان تتحول بعض هذه المجموعات الى «خلايا» متطرفة يصعب ضبطها اذا بدأت تمارس اعمالها عبر الزيارات المنزلية، واستغلال المناسبات الاجتماعية أو شبكة الانترنت.

هل تطرقتم في دراستكم الى موضوع الفتاوى التي تحرض على الجهاد قديما وحديثا؟

– نعم، الفتاوى هي الأساس التي يعتمد عليها الارهابيون والمتطرفون لشرعنة فكرهم وتصرفاتهم، وللأسف فان الخطاب الدعوي المتشدد، والجرأة على الفتوى، وخروجها من يد علمائنا الراسخين الى يد شبيبة من «طويلبي» العلم الصغار هو الذي اوصلنا الى ما وصلنا اليه.. علماؤنا الراسخون حصروا انفسهم في امور الحلال والحرام، وابتعدوا عن الساحة الشبابية، بينما ما سُموا بعلماء الصحوة انطلقوا في كل اتجاه، شرقوا وغربوا، وتناولوا السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع، وقدموا اجابات مبسطة وساذجة، لعبت بعقل الشباب، (ولحست) خيالهم ووجداناتهم.. لذا فأمر الفتوى جد خطير، ويا ليت علماءنا الافاضل يقرّبوا من الشباب، ومن انفسهم وقضاياهم التي تساعد هؤلاء الشباب على فهم ما يدور حولهم من قضايا عبر فتاوى مستنيرة، وبأسلوب عصري يناسب ذهنيات وعقول الشباب.

> *تفكيك الخلايا يتطلب استراتيجية شاملة تتجاوز الحلول الأمنية
>
> * مناهجنا يمكن أن تستغل وتوظف لتجنيد الشباب وغسل أدمغتهم
>
> *سعي القاعدة لتجنيد النساء يتطلب منا –دولة ومجتمعا– الالتفات والمراجعة

مطلب شرعي ووطني

العلماء والدعاة وطلبة العلم والاكاديميون والمتخصصون في علم النفس والاجتماع والسياسة، ما دورهم في معالجة هذه الحالات؟ وهل بذلوا جهدا في السابق مع الاشارة ان البعض منهم وقفوا موقفا سلبيا من هذه الظاهرة التي اضرت بالوطن والمواطن؟

– جميع هذه التخصصات، وهؤلاء المتخصصين في هذه المجالات مطلوب منهم المساهمة.. فهذا مطلب شرعي ووطني، واكاد اشك في وطنية المتخاذل في هذا الجهد الوطني.. نحن نخوض معركة شرسة وقودها المكتسبات والشباب.. والأمل ان تتبنى الدولة مظلة ومرجعية لهؤلاء المتخصصين، وتفرغ بعضهم، لكي يخرجوا لنا بدراسات وتحليلات وتوصيات واوراق عمل تعين ولاة الامر والدولة والاجهزة المعنية بمعالجة الظاهرة.. حتى الآن لا تُوجد هذه المظلة، فالمعالجة (مفرق دمها بين القبائل)، ولعل في فكرة وجود مجلس أو لجنة أو هيئة عليا لمكافحة الارهاب، مع حشد لهؤلاء المختصين، وتفريغهم لعدة سنوات وسيلة لاستقطاب هؤلاء والاستفادة من تخصصاتهم، من اجل تخليص مجتمعنا من الارهاب بأسلوب علمي ومؤسسي منظم.. يكفي ان استعرض تجربة أمريكا في تعاملها مع الارهاب، فهم لم يقتصروا على العمل العسكري، بل تجاوزوا ذلك الى احداث تغييرات جوهرية في كل شيء، بما في ذلك الاعلام والتربية والدراسات ومراكز الابحاث، ووزارة متخصصة، وخلق قيادات جديدة موالية لهم في العالم الاسلامي والقائمة هنا لا تنتهي.

في الدراسة اشرتم بوضوح الى هشاشة التكوين الفكري للنساء، كيف يمكننا تعزيز هذا التفكير لضمان عدم انحرافه وانجرافه مع الدعوات الهدامة؟

المصـــــدر : عكاظ
التـــاريخ : 07-09-2006 العـــدد : 14621
الصفحـات : 14 المسلسل : 87

– نساؤنا وفتياتنا طيبات، لم يعتدن اسلوب «اللف والدوران» وتجنّب محاولات التجنيد والاختراق من جهات مشبوهة، فهذه ظواهر دخيلة عليهن.. ولهذا فان الامل في الام السعودية، والمعلمة السعودية، والمربية السعودية، ان يتنبهن بأن الجميع الآن –ذكورا وإناثا– مستهدفون، وعليهن الحذر والانتباه، وان تكون هناك برامج توعية مستمرة ودائمة من وسائل الاعلام ووزارة التربية والتعليم والشؤون الاجتماعية والاسلامية وليس بأسلوب الحملات التقليدية الذي اعتدنا عليها فترة مؤقتة ثم تنقطع، وكأن شيئا لم يكن.. نحن في معركة مستمرة كما قال خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز –حفظه الله– وسنظل وراءها مهما طال الزمن وامتد لحين القضاء عليها.

تجديد الخطاب

يؤكد البعض على ضرورة ان يتم تجديد الخطاب الديني بحيث يقوم على الوسطية والعدل والتسامح والاعتدال والحوار والاعتراف بالآخر كضرورة ملحة لمعالجة الفكر الارهابي، ماهو رأيكم في ذلك؟

– انت اجبت على السؤال.. خطابنا الديني يجب ان تكون الوسطية هي جوهره اذا اردنا ان نقتلع الارهاب الفكري من جذوره.. الوسطية والعدل والتسامح والحوار والآخر هذه مفردات يجب ان تكون اساس نظرتنا وتعاملنا مع انفسنا ومع الآخر، وجوهر خطابنا الديني.. وهذا ما يدعو اليه الجميع.. المشكلة هو اننا لم نأسس هذا التوجه بعد، بحيث يصبح لدينا مؤسسات دعوة وخطابة ووعظ وفتوى وارشاد قائمة على هذا التوجه.. مؤسسات تحمي وتصون هذا الخطاب.. وتحمي معتنقيه من الإساءة والتشنيع، ويكفي ان تطلّع على الساحات والفضاء الالكتروني لتدرك خطر وبذاءة ما اقول.. هناك دعاة سعوديون اعتزلوا الساحة بسبب وسطيتهم.

هل ترى ضرورة ان يواكب هذه الجهود جملة من الاصلاحات والاجراءات الداخلية اجتماعيا وسياسيا وثقافيا وتنمويا، كوسيلة لاضعاف جاذبية الأيدلوجيات المتفرقة في عقول الناس وقلوبهم والشباب على وجه الخصوص؟

–نعم.. وهذا جوهر الدراسة التي بين ايديكم.. وبكل تأكيد فان اضعاف مشاعر التعاطف والمتعاطفين يقوم على هذه الفكرة تحديدا.. الارهاب يعيش في الظلام، ويعيش على تصيّد القصور والتقصير في الاصلاح والخدمات المقدمة من الدولة.. وهم يستغلون هذه الامور لتضخيم وتهويل هذه الامور في عيون المواطنين.. لذا فان من الاهمية العناية بالاحتياجات التي تمس معيشة المواطن كالتعليم والصحة والاسكان والخدمات الاجتماعية والبلدية والضمان الاجتماعي وغيرها.. والدولة خصصت جزءا كبيرا من فائض الميزانية هذا العام لهذه الجوانب، والتي سوف تؤتي ثمارها الايجابية عاجلا من أجل اضعاف جاذبية التطرف في بعض النفوس.. فاذا وجد المواطن أن أمنه المعيشي مكفول، وبما يليق به وأسرته، ويحفظ كرامته الانسانية، فهذا مدعاة لعدم التعاطف مع دعوات التطرف.

فيما لو تم ايجاد استراتيجية شاملة لمكافحة الارهاب، ماهو المدى الزمني الكافي لمعالجة ذلك؟

– تقوم اي استراتيجية على مبدأ ما يُسمى بالمدى القصير والمتوسط والبعيد.. وقطعنا شوطا طيبا بالمدى القصير.. وبدأنا بالمعالجة الأمنية الناجحة والمبهرة التي يقودها سمو وزير الداخلية الامير نايف، وسمو مساعده للشؤون الامنية الامير محمد بن نايف، ثم في جهود لجان المناصحة، وحملات السكينة، ومراقبة الاموال والتبرعات.. بقي ان نشتغل على المدى المتوسط والبعيد، وهذا يحتاج لفترة زمنية بين (٥–١٠) سنوات حتى نحيط بجميع الظروف والزوايا المتعلقة بالظاهرة، ونتعرف بدقة على انجح السبل لمعالجة هذه الظاهرة في سياق المجتمع السعودي، وما يلائم طبيعته وظروفه وخصوصياته.. المهم اننا بدأنا واكتسبنا الخبرة، وازداد الوعي، وهناك رغبة صادقة على أعلى المستويات لعمل شيء جذري لاجتثاث هذه الظاهرة من جذورها.. وهذه خطوة الميل على طريق الألف ميل.